((عسى)) في العربية

– دراسة في الخلاف النحوي –

د . فراس عبد العزيز عبد القادر(*)

الملخص

يتناول البحث المعنون بـ:("عسى"في العربية دراسة في الخلاف النحوي) استقصاء عسى في العربية واختلاف النحويين في حقيقتها، إذ ذهب جمهورهم إلى أنها فعل ماضٍ جامد، وخصوا لها ما خص للفعل الماضي من دخول تاء التأنيث، وضمير الرفع المتصل، في حين ثمة من حملها على أنها حرف مثل لعل في إفادتها معنى الترجي فهي حرف يعمل النصب في الضمير المتصل والرفع فيما بعدها، وأبرز البحث أن كلا الاستعمالين مما أجازه الاستقراء اللغوي بشواهد فصيحة. وعرض أيضا نظرية الحمل على النظير في إعراب (عسى) حال ورودها ناقصة أو تامة، أو ما حمل على النقصان و التمام، واستعراض المحمول عليه فعلاً كان أم حرفاً. وبين البحث في آخره إشكالية معنى: ((عسى)) بين الوضع اللغوي في إفادتها معنى الترجي والإشفاق والاستعمال القرآني لها حال ورودها مسندة إلى لفظ الجلالة ((الله)) وثبت أن الرجاء مخصوص بالمخاطبين وليس من الله وقوع الرجاء

(*) قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب – جامعة الموصل.

"عسى" خلاف نحوي في تحديد الماهية

إن نظرة فاحصة في المعجم العربي للأصل الثلاثي العين والسين والحرف المعتل، ترشدنا إلى أن الفعل من هذا الجذر له بناءان ومعنيان، الأول هو فعل متصرف باتفاق، معناه الشدة والغلظة، وحرف اعتلاله ألف منقلبة إلى واو في المضارع يقال: عسا – يعسو، مثل قعد – يقعد، ومنه "يد جاسية عاسية – أي غليظة جافية من العمل" [(1)]. ويقال للرجل إذا أسن وطعن في العمر شيخ عسوة وعسىً، قال رؤبة[(2)]:

يهوون عن أركان عز أدرما عن صامل عاس إذا ما اصلخمما

ويقال لليل إذا اشتدت ظلمته عسا الليل، وللنبات إذا غلظ عسي النبات [(3)].

والثاني هو "عسى" الجامدة المفيدة لمعنى الترجي والإشفاق، وهي محل خلاف النحاة في تصنيفها النحوي بين الفعلية والحرفية، وفي هذا الخلاف قد تعانقت مع "ليس" و"نعم وبئس" في ترددهم بين الفعلية والاسمية والحرفية، فلم تكن بدعا من غيرها من الأفعال الجامدة، والذي سوغ لهذا ورود شواهد تأخذ بالنحاة إلى منحى الافتراق في تحديد ماهية هذه الكلمات، وما يجري عليها من أحكام تخص الفعل من جهة والاسم والحرف من جهة أخرى. ولسنا في هذا المقام بصدد عرض الخلاف

(1) أساس البلاغة، الزمخشري، 420، دار الفكر – بيروت.

(2) ديوانه / 174، تحقيق: وليم اليوت، مطبعة لايبزج – لندن.

(3) العين، الخليل بن أحمد: 2/ 200، تحقيق: الدكتورين مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مطبعة الرسالة الكويت.

ودلائله عند كلا المذهبين[4]. قدر تعلق الأمر في تفصيل الحديث عن "عسى"، إذ نقل عن ابن السراج، محكيا عن ثعلب بأن "عسى" حرف تشبه (لعل) [5]. لأن الجامع بينهما إفادة معنى الترجي وعدم التصريف وإنما كانت كذلك ((لوجهين أحدهما أنها أشبهت الحروف إذ كان لها معنى في غيرها. وهو الدلالة على قرب الفعل الواقع بعدها وحكم الفعل أن يدل على معنى في نفسه، وشبهها بالحرف يوجب جمودها، كما أن الحرف جامد. والثاني: أنها تشبه لعل في الطمع والإشفاق فتلزم صيغة واحدة كـ "لعل"...)) [6]. وقد نقل السيرافي في القول بحرفية "عسى" عن سيبويه [7] حالة اتصال ضمير النصب بها مثل: "عساي وعساك..." وهو قليل الاستعمال. ومنه قول الشاعر[8]:

تقول بنتي قد أنى إنا كا   يا ابتا علّك أو عساكا

فالضمير المتصل في محل نصب اسمها وخبرها محذوف. وقد غَلَّط المبرد سيبويه في حمله لـ"عسى" على "لعل"، واستدل على أن الأفعال لا تعمل في المضمر إلا كما تعمل في المظهر، فالضمير المتصل مفعول مقدم، وفاعل "عسى"

---

(4) للاستزادة ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، ابن الانباري: 1/ 97، 162، 2/ 688، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور: 1/ 383، تحقيق: صاحب أبو جناح، مطبعة جامعة الموصل.

(5) أسرار العربية، ابن الانباري/ 162، تحقيق: محمد بهجة العطار، مطابع المجمع العلمي – دمشق، الجنى الداني، المرادي/ 434، تحقيق: طه محسن – مطبعة جامعة الموصل.

(6) اللباب في علل البناء والإعراب ، العكبري: 1/ 191، تحقيق: غازي مختار طليمان، دار الفكر – دمشق.

(7) ينظر الكتاب: 2/ 375، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب – بيروت و =: أوضح المسالك، ابن هشام: 1/ 240، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الندوة الجديدة – بيروت.

(8) قائله رؤبة، =: ديوانه 181 ومن شواهد سيبويه = الكتاب: 2/ 375.

مضمر والتقدير: عساك الخير أو الشر [9]. أما القول الثاني في "عسى" فهي فعل ماض جامد لا يتصرف "لأنه وقع بلفظ الماضي لما جاء في الحال، تقول"عسى زيد أن يخرج"[10]. وهو الذي عليه الجمهور. واستدل على فعليته باتصال ضمائر الرفع البارزة التي من شأنها الاتصال بالأفعال المتصرفة نقول: "عسيت وعسينا وعسوا....". ويلحظ أنه يجوز كسر العين وفتحها في هذا الاتصال إذ يقول السيوطي[11]: "وكسرالسين من عسى إذا اتصل بها ضمير الرفع نحو: عسيت، وعسين، وعسينا جائز مشهور، ولكن الفتح أكثر وأشهر وقريء بالوجهين. في السبع، أما مع ضمير النصب فليس إلا الفتح". قال ابن مالك[12]:

والفتح والكسر أجز في السين من   نحو عسيت وانتقا الفتح زكن

ومن علامة فعليته الماضية لحوق تاء التأنيث الساكنة في آخره نقول: "عستْ"، (قال ابن الدهان: عسى فعل ماضي اللفظ والمعنى لأنه طمع قد حصل في شيء مستقبل، وقال قوم: ماضي اللفظ مستقبل المعنى، لأنه اخبار عن طمع يريد أن يقع)[13]. ووضع (عسى) للزمن الماضي، ولم تستعمل فيه مردود ؛ لأنها "لما وجد فيها خواص الفعل قدر ذلك إدراجا لها في نظم أخوتها، ومنه يتحقق أن المراد الوضع الحقيقي أو التقديري..." [14]. إن القول بجمودها ودلالتها على معنى يدل

(9) ينظر المقتضب: 3/ 68، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمه، عالم الكتب – بيروت.

(10) الصحاح، الجوهري: 6/ 2425، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت.

(11) المطالع السعيدة في شرح الفريدة / 221، تحقيق: طاهر سليمان حموده، الدار الجامعية للطباعة والنشر– الإسكندرية.

(12) ألفية ابن مالك / 14، مكتبة المثنى – بغداد.

(13) الأتقان في علوم القرآن، السيوطي:2/ 205، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث العربي– بيروت.

(14) حاشية الصبان على شرح الاشموني، محمد الصبان: 1/ 409، المكتبة التوفيقية بمصر.

عليه الحرف "لا يخرجانها عن الفعلية، وكم من الأفعال يدل عليه حرف وهو جامد ولم يخرجه ذلك عن فعليته"[15].

حمل "عسى" على النظير في العمل النحوي

الحمل على النظير في النحو العربي متأتٍّ من نظرية العامل، وقد صرح النحاة بأن العمل يكون أصالة فلا شرط يقيده في عمله، وقد يكون فرعا فيحمل على ما كان أصلا لقرائن التشابه في جري القاعدة النحوية، وقد يحكم العمل بالحمل على النظير شروط تقيد عمله؛ لأنه لا يقوى أن يعمل في أصل وضعه – كما هو مشهور في إعمال اسم الفاعل أو المفعول عمل فعليهما مثلا، وقد اعتنى النحويون ببيان العمل في مفاصل النحو بأجمعه، ومن ذلك قولتهم الشهيرة "ان الأعراب أصل في الأسماء فرع في الأفعال، وان البناء أصل في الأفعال فرع في الأسماء"[16].
ولـ"عسى" مآرب شتى في حمل عملها على نظائرها – فعلا كانت أم حرفا – إذ قد دل الاستقراء اللغوي على صور مختلفة في استعمالاتها، وسنعرض الكلام بحمل "عسى" على النظير تفصيلا:

1. الحمل على النظير الفعلي

أجمع النحويون على أن (عسى) في حالة كونها فعلا، فهي من أسرة أفعال المقاربة التي تأتي على سبيل الترجي، وهي "كاد وأوشك وطفق واخلولق...".
وتعني المقاربة فيها قرب وقوع الفعل المتضمن في أخبارها، ولما كانت "عسى" فعل مقاربة، فقد حملت على "كان" برفع الاسم الأول ونصب الثاني فتجري مجرى الأفعال الناقصة غير أنها تفارق "كان" بورود خبرها جملة فعلية فعلها مضارع

(15) هداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، محمد محيي الدين عبد الحميد: 216/1، دار الندوة الجديدة– بيروت.
(16) أسرار العربية / 20.

مسبوق بـ (أن) الناصبة، و "الجامع بينهما دخولهما على المبتدأ والخبر وإفادة المعنى في الخبر، ألا ترى أن "كان وأخواتها" إنما دخلت لإفادة معنى الزمان في الخبر، كما أن هذه الأفعال دخلت لإفادة معنى القرب في الخبر" [17]. فقولنا مثلا: "عسى زيد أن يقوم" فزيد اسم "عسى" الناقصة والمصدر المؤول (أن يقوم) خبرها، غير أن المصدر المؤول بالصريح لا يجوز الإخبار به عن جثة (ذات)، فلا يصح (عسى زيد قيامه)، لذا كان هذا على تقدير مضاف إما قبل الاسم فيكون "عسى أمر زيد القيام"، أو قبل الخبر فيكون (عسى زيد صاحب القيام) وقيل هذا الإخبار من باب المبالغة كما في قولنا "زيد عدل"[18] وثمة توجيه كوفي في إعراب المصدر المؤول من (أن يقوم) على أنه بدل اشتمال من المرفوع، وقد سد هذا البدل مسد الجزءين، كما سد مسد المفعولين في قراءة حمزة بالتاء لقوله تعالى: (وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لانفُسِهِمْ...) وهي باقية على نقصانها[19]. أما وجوب اقتران خبر "عسى" بـ (أن) المصدرية دون أخواتها؛ لأن معناها الترجي، والترجي أمر مستقبلي و"أن" تعطي للفعل دلالة الاستقبال[20]. لذا قال ابن مالك في ألفيته[21]:

ككان كاد وعسى لكن ندر ... غير مضارع لهذين خبر

وكونه بدون أن بعد عسى ... نزر وكاد الأمر فيه عكسا

(17) شرح المفصل،ا بن يعيش: 7/ 115، عالم الكتب – بيروت (د.ت).

(18) ينظر مغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري، 1/ 208، مطبعة دار السلام – مصر.

(19) حاشية الصبان: 1/ 408.

(20) شرح المقدمة المحسبة، ابن بابشاذ: 2/ 352، تحقيق: خالد عبد الكريم – المطبعة المصرية الكويت.

(21) الفية ابن مالك / 13.

وقد رد ابن هشام على من أعرب (أن) بأنها زائدة مصدرية بقوله: "ليس بشيء، لأنها قد نصبت، ولأنها لا تسقط إلا قليلا..."[22]. وقد أكد الأستاذ عبد السلام هارون عدم زيادتها بقوله [23]: "وقد يتعذرون بأن (أن) زائدة والخبر هو جملة الفعل. وفي هذا أيضا نظر، لأن الحرف الزائد لا يلزم إلا مع بعض الكلم، كزيادة (ما) في قولهم أفعل هذا آثراً ما ولزومه مطردا مع أي كلمة كانت بعيدة...". بيد أننا نجد أن الدكتور فاضل السامرائي قد رجح القول بعدم مصدريتها " والذي يبدو لي أن الرأي الراجح هو الذي يذهب إلى أن (أن) ليست مصدرية، وإنما هي مؤذنة بتراخي الفعل أي جيء بها للدلالة على الاستقبال والدليل على ذلك:

1. سقوط (أن) لضرورة أو لعدم إرادة تخصيص الفعل بالاستقبال.
2. مجيء خبرها وصفا كقوله: إني عسيت صائماً.
3. دخول سين الاستقبال بدلا من (أن) في الخبر، لأن كليهما للاستقبال.
4. ليس ثمة ضرورة للقول بأن (أن) الناصبة للفعل مصدرية دائما فقد تكون مصدرية وقد تكون غير ذاك"[24].

وما ورد في فصيح كلام العرب مجيء خبر "عسى" خلواً من (أن) من ذلك قول الشاعر[25]:

---

(22) مغني اللبيب : 208/1.

(23) الأساليب الإنشائية في النحو العربي /48.

(24) معاني النحو، فاضل السامرائي: 1/ 219 – 292، مطبعة جامعة الموصل.

(25) البيت لهدبة بن خشرم العذري، =: تحقيق ودراسة لشعر هدبة بن الخشرم / 106، رسالة ماجستير لمزاحم البلداوي – جامعة الأزهر 1978، والبيت من شواهد سيبويه: =: الكتاب: 3/ 158، خزانة الأدب، البغدادي: 4/ 81 – القاهرة 1299 هـ.

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

وقول الآخر[26]:

عسى الله يغني عن بلاد ابن قادر بمنهمر جون الرباب سكوب

وهي بهذا الحذف من (أن) دون الفعل المضارع محمولة في الشبه على "كاد" التي يكون خبرها فعلا مضارعا غير مسبوق بـ(أن)، وينعكس الحمل على النظير إذا وردت أفعال المقاربة مقرونا خبرها بـ(أن)، فمثال حمل "كاد" على "عسى" قول الشاعر[27]:

قد كاد من طول البلى أن يمصحا[28]

ودلالة حذف (أن) من (كاد) واقترانها بـ(عسى) أنّ كاد تفيد تقريب الخبر من الحال، و"عسى" أذهب في الاستقبال و"أنْ" علم الاستقبال [29]، والفرق بين قولنا: "عسى زيد أن يفعل، وعسى زيد يفعل: أن طرح (أن) يؤذن بقوة الطمع، لأنه قد زال دليل الاستقبال"[30]. وجعل الأستاذ عبد السلام هارون (عسى زيد يقوم) بأن

(26) البيت من شواهد سيبويه معزوا إلى سماعة بن أشول النعامي =: الكتاب: 3/ 158، والكامل في اللغة والأدب، المبرد / 178. تحقيق: د. يحيى مراد مؤسسة المختار للطباعة – القاهرة، شرح المفصل، ابن يعيش: 7/ 117.

(27) البيت منسوب إلى رؤبة في ملحقات ديوانه / 172، الكامل في اللغة والأدب / 177، خزانة الأدب: 4/ 90 وصدره (ربع عفاه الدهر طولا فانمحى).

(28) الإيضاح العضدي، أبو علي الفارسي: 1/ 78، تحقيق: حسن شاذلي فرهود – مطبعة دار التأليف مصر، شرح مقدمة المحسبة، ابن بابشاذ: 2/ 352.

(29) أسرار العربية / 129.

(30) توجيه اللمع، ابن الخباز / 396، تحقيق: فايز زكي دياب – دار السلام بمصر.

عسى تامة والجملة الفعلية بعدها بدل من المرفوع بها وحذف (أن) بعد عسى جائز لقوة الدلالة عليه وذلك لكثرة وقوع (أن) بعد عسى كثرة غالبة[31]. أما ورود الخبر اسما صريحا كما في قولهم في المثل "عسى الغوير أبوسا" [32]. فقد أشكل على النحاة توجيههم لكلمة"أبوسا"، وبيان خبر "عسى"، إذ خرجه سيبويه على أنه خبر "عسى" أجري مجرى "كان" الناصبة للخبر، ووصفه بقلة الاستعمال إذ يقول: "واعلم أن من العرب من يقول: عسى يفعل يشبهها بكاد يفعل، فيفعل حينئذ في موضع الاسم المنصوب في قوله: "عسى الغوير أبوساً"، فهذا من أمثال العرب أجروا فيه (عسى) مجرى كان[33].

ومجيء الاسم الصريح منصوباً مما يقوى في القياس، ويضعف في الاستعمال، غير أن السماع ورد بحظره والاقتصار وعلى ترك استعمال الاسم صريحاً[34]. وقد حمل المثل السابق على ما ورد من نصب (كاد) للاسم الصريح والاستعمال فيها وروده جملة فعلية في قول تأبط شرا[35]:

فأبْتُ إلى فـَهْمٍ وَمَا كـُدْتُ آيباً   وَكـَمْ مثلها فارقتـها وهي تصفر

(31) الأساليب الإنشائية في النحو العربي / 48.

(32) يضرب لكل شيء يخاف أن يأتي منه الشر، قالته الزباء ملكة الجزيرة، والغوير: تصغير غار، والأبوس: جمع بؤس، وهو الشدة =: مجمع الأمثال، الميداني 2/ 17، تحقيق: محمد محيي الدين، دار المعرفة بيروت، المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري: 2/ 161، دار الكتب العلمية – بيروت.

(33) الكتاب: 3/ 158، 3/ 99.

(34) الخصائص، ابن جني: 97/1، المستقصى في أمثال العرب: 161/2.

(35) ديوانه/ 31، اعتناء عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت ط/2003.

فقد ورد خبر كاد اسماً صريحاً وهو من النادر استعماله، وثمة رواية أخرى.. "وما كنت آيباً" فان صحت الرواية فلا استشهاد في البيت ولا شذوذ[36]. أما جمهرة النحاة فقد تعددت آراؤهم في تقدير المحذوف الذي عمل النصب في "أبؤساً"، فذهب بعضهم إلى أن التقدير هو (أن يكون) وأبؤساً خبره. وقد صوبه المبرد وأبو هلال العسكري وابن هشام ابقاءً لها على الاستعمال الأصلي[37]. وثمة من رد هذا التقدير وانه لا يصح لما فيه من حذف الموصول وإبقاء صلته[38]. في حين قدر الأصمعي وابن الأعرابي الفعل "يصبر"، ولا مشاحة بين التقديرين، إلا في ذكر (أن) المصدرية وهو الأحسن[39]. وقيل: ان المنصوب هو مفعول به على نزع الخافض والناصب منه والتقدير "عسى الغوير يأتي بأبؤسٍ". وقيل المنصوب هو مفعول مطلق لعامل محذوف والتقدير "عسى الغوير يبأس ابؤساً" [40]. والبادي لنا ان هذه التقديرات جرت على ألسنة النحويين توافقا مع اسر القاعدة النحوية لهم، وإعراب "ابؤساً، خبراً عن "عسى" ادعى إلى عدم التقدير بالحمل على النظير في العمل ويغتفر للنصب قلة الاستعمال اللغوي لهذه الصورة.

وثمة توجيه آخر في مشاكلة "عسى" لـ "كان" الناقصة، هو أن يجعل المصدر المؤول من (ان والفعل) بدل اشتمال من المرفوع، وان هذا البدل

---

(36) شرح المفصل: 13/7، شرح شواهد العيني: 406/1.

(37) المقتضب: 68/3، جمهرة الأمثال أبو هلال العسكري، مطبعة دار الجيل – بيروت 2/م51، مغني اللبيب: 208/1 وما بعدها.

(38) اللباب في علل البناء والإعراب: 192/1.

(39) التصريح على التوضيح، خالد الأزهري: 32/2 المكتبة التوفيقية – مصر، هداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك: 217/1 – 218.

(40) التصريح على التوضيح: 32/2.

سد مسد الجزءين، كما سد مسد المفعولين في قراءة حمزة [*] لقوله عز وجل: (وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لانفُسِهِمْ) آل عمران/178[41]. وقد رد هذا التوجيه لأسباب نحوية ثلاثة أولها أن البدل من الفضلات فلا موجب لذكره في الجملة، وثانيها أن المصدر المؤول في معنى المفعول في خبر عسى وليس هذا حكم البدل، وثالثها انه قد جاء الفعل الذي دلت عليه (عسى)، وإبدال الفعل من الاسم غير صحيح ولا جائز[42].

ومن صور حمل "عسى" في قولهم "عسى زيد أنْ يقوم"، أنها محمولة على الفعل المتعدي "قارب" وان المرفوع بعدها فاعلها والمصدر المؤول في محل نصب مفعولها والتقدير: "قارب زيد القيام". أو أن المصدر المؤول منصوب على نزع الخافض والتقدير: "قارب زيد بان يقوم" توافقاً مع قاعدة عدم الإخبار بالمصدر عن جثة، وهي – أي عسى – في حملها على الفعل "قارب" المتعدي، لا تكون ناقصة كما في "كان". ومن النحاة من حمل "عسى" على الفعل اللازم (القاصر) (قرب)، وفي هذه الحالة تكون تامة غير ناقصة، أما المرفوع بعدها فهو فاعلها، والمصدر المؤول محله الرفع على البدلية بطريق الاشتمال من الفاعل [43]. وقد تابع الأستاذ عبد السلام هارون الرأي الكوفي بإعراب المصدر بدلاً على أنَّ عسى تامة ابداً، وقصد بإبدال المصدر من الفاعل أسلوب الإجمال ثم التفصيل كما هو شان بدل الاشتمال، وهو من الإبهام المتبع بالتفسير الذي يوقع شيئاً عظيماً في

(*) ينظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد/220، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف – مصر.

(41) الجنى الداني/435، مغني اللبيب، :208/1.

(42) اللباب في علل البناء والإعراب: 192/1.

(43) التوطئة، الشلوبين/ 270 – 271، تحقيق يوسف احمد المطوع، الجنى الداني/ 435، حاشية الصبان: 407/1 – 408.

تشوق النفس لمعرفته [44]. أما الاستعمال الثاني الذي أثبته النحويون لـ"عسى"، وهي فعل فهو إسناد المصدر بعدها مباشرة دون أن يفصل بينهما باسم مرفوع صريح، كقولهم "عسى أن يقوم زيد" فتكون تامة محمولة على "كان" التامة، وعليه سيكون المصدر المؤول في محل رفع فاعل بها والتقدير: عسى قيام زيد[45]. وذهب ابن مالك إلى أنها ناقصة أبدا، وان المصدر صلته سد مسد جزءيها مستنداً بذلك إلى الفعل "حسب" المذكور في قوله عزل وجل: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) العنكبوت/2. إذ المصدر (أن يتركوا) سد مسد مفعولي "حسب" ولم يخرج عن أصله[46]. وهو بذلك يضمن "عسى" "حسب" وقد أورد قولاً لأبي بكر مخاطباً عمر (رضي الله عنهما): "وما عسيتهم أن يفعلوا بي" فأجرى "عسى" مجرى "حسب" فنصبت ضمير الغائبين مفعولاً أولا، والمصدر المؤول (أن يفعلوا بي) مفعولاً ثانياً، وكان حقه أن يكون مجرداً من (أن)، كما لو كان بعد "حسب" ولكن جيء بـ(أن) لئلا تخرج "عسى" عن مقتضاها، ولان (أن) قد تسد مسد مفعولي "حسب"[47]. وفي رأيه هذا مخالفة لما اتفق عليه النحويون بورود "عسى" تامة مستغنية عن الخبر بإسناد المصدر إليها مباشرة.

---

(44) الأساليب الإنشائية في النحو العربي/48.

(45) الإيضاح العضدي: 77/1، توجيه اللمع/396، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، قيس إسماعيل الاوسي/583، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل.

(46) شرح الكافية الشافية، ابن مالك: 554/2 تحقيق عبد المنعم احمد هريدي، مطبعة دار المأمون للتراث – مكة المكرمة، و= المطالع السعيدة/219.

(47) شواهد التوضيح والتصحيح على مشكلات الجامع الصحيح، ابن مالك/ 203 – 204، تحقيق: طه محسن، مطبعة آفاق عربية – بغداد.

وقد ذكر ابن هشام وجهاً من وجوه استعمال "عسى" نقله محكياً عن ثعلب، وهي مما حمل في عملها على "كان" الناقصة وهو قولهم "عسى زيد قائم" فاسمها ضمير الشأن محذوف، والجملة الاسمية (زيد قائم) محلها النصب على أنها خبرها، ولا يخفى ما في هذا الاستعمال من غرابة في العربية، إذ لم يرد اسم الأفعال الناقصة ضمير شأن محذوفاً. والأغلب وروده في أسماء الأحرف المشبهة بالفعل (إن وأخواتها).

تردد "عسى" في الحمل على النقصان أو التمام

وردت صورة أخرى من استعمال "عسى" في العربية، وهي تقديم ما كان مسنداً إليه في المعنى – أي الاسم الصريح المرفوع – وتأخر المصدر، كما في قولهم: "زيد عسى أن يقوم"، وهذه الصورة فيها تردد بين الحمل على تمامها، أو الحمل على نقصانها فإذا اسند المصدر إليها كان محله الرفع على انه فاعلها وهي حينئذ تامة، والاسم المتقدم مبتدأ، والجملة المتصدرة بـ(عسى) خبره، وعلى هذا لا يلزم الفعل التأنيث والتثنية والجمع فنقول: "هند عسى أن تقوم، والزيدان عسى أن يقوما، والزيدون عسى أن يقوموا. وهذا الأفصح لوروده في القران الكريم ومنه قوله عز وجل: (... لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ...) الحجرات/ 11، قال السيوطي في الفريدة[48].

فان يكن قبلها اسم اضمر   إن شئت والترك بتجويد حري

(48) المطالع السعيدة في شرح الفريدة/219.

في حين إذا أسندت "عسى" إلى الاسم المتقدم فسيكون اسمها مقدما والمصدر في محل نصب خبرها وهي حينئذ ناقصة مثل "كان" ويلزم فيها تأنيثها وتثنيتها وجمعها فنقول: "هند عستْ ان تقوم، والزيدان عسيا أن يقوما، والزيدون عسوا أن يقوموا، ومن النحاة من أجاز النقصان في عسى بقولهم "عسى أن يقوم زيد" .. التي سلفت الإشارة إليها بأنها تامة، وذلك على تقدير ضمير الرفع لـ"عسى"، والمصدر بعدها خبرها، وما قيل في تأنيث الفعل وتثنيته وجمعه يقال في هذا التوجيه من الإعراب: فتقول إذا أضمرت الاسم: "عسى أن تطلع الشمس، وعسى أن يقوما الزيدان وعسوا أن يقوموا الزيدون" وقد منع بعضهم هذا الوجه، لضعف هذه الأفعال عن توسط الخبر[49]. وقد أشار ابن مالك إلى هذين الاحتمالين بقوله[50]:

وجرّدن عسى أو ارفع مضمرا بها إذا اسم قبلها قد ذكرا

وثمة شواهد وردت في الكتاب العزيز محتملة فيها "عسى" للتمام والنقصان، ومنه قوله عز وجل: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ...) البقرة/216، وقوله عز وجل: (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ...) القصص/ 9، وقوله عز وجل: (فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين) القصص/67، ففي إعراب "عسى" وجهان إما أنها تامة أو أنها ناقصة، غير انه منع نقصانها في قوله عز وجل: (عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) الإسراء/79. إذ لا يجوز أن ترتفع

(49) شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، ابن مالك/ 819 تحقيق عدنان عبد الرحمن الدروي، مطبعة العاني - بغداد، أوضح المسالك: 235/1، توجيه اللمع/396، التصريح على التوضيح 50/2.

(50) ألفية ابن مالك/14.

كلمة ربك بعسى، لان يبعثك قد نصب "مقاماً"،فلو كانت كلمة ربك مرفوعة بعسى لفصلت بين الصلة والموصول بأجنبي منهما[51].

2- الحمل على النظير الحرفي

أما الاستعمال الثاني لـ"عسى" كونها حرفاً فهي – كما سلفت الإشارة – محمولة على "لعل"، لان الجامع بينهما إفادتهما معنى الترجي، وشبهها بـ(لعل) أوجب جمودها. يقول ابن جني: [52] "عسى منعت التصرف لحملهم إياها على لعل، فهذا ونحوه يدلك على قوة تداخل هذه اللغة، وتلاحمها واتصال أجزائها وتلاحقها وتناسب أوضاعها...".

وقد اشترط في عد "عسى" حرفاً اتصال الضمير بها مباشرة، وهذا ما تبناه سيبويه إذ أشار إلى ذلك بقوله: [53] "والدليل على أنها منصوبة انك إذا عنيت نفسك كانت علامتك (ني) قال عمران بن حطان:

وَلِي نـَفـْسٌ أقـُوْلُ لـَهَا إذا مَا   تـُنـَـازِعُنـْـيِ لـَعَلـّي أوْ عَسَانِـيِ

فلو كانت الكاف مجرورة لقال: عساي، ولكنهم جعلوها بمنزلة (لعل) في هذا الموضع..."، غير ان المبرد جعل "عسى" باقية على أصلها، غير ان الإسناد عنده محمول على التقديم والتأخير، أي ان الضمير المتصل بـ(عسى) مفعول مقدم، والفاعل مضمر والتقدير: قال عساك الخير أو الشر، وحذف لعلم المخاطب به،

(51) توجيه اللمع /396.

(52) الخصائص: 1/97 – 98.

(53) الكتاب: 2/ 375، وينظر : المقتضب: 72/3.

وجعل الخبر اسماً كما ورد في المثل "عسى الغوير ابؤساً" [54] وقد صحح ابن عصفور ما ذهب اليه سيبويه بانه ليس فيه وضع ضمير نصب موضع ضمير رفع[55]. في حين ذهب الأخفش إلى ان "عسى" عاملة عمل "كان" ولكن وضع ضمير الرفع موضع ضمير النصب وهو الياء على سبيل الإنابة عنه، وقد رد ابن هشام هذا الرأي بأمرين الأول: أن إنابة ضمير عن ضمير ثبت في المنفصل لا الضمير المتصل مثل "ما أنا كأنت" و "لا أنت كأنا"، والآخر انه قد ظهر الخبر مرفوعاً فيما ورد من شواهد من ذلك قول الشاعر[56]:

فقلت عساها نار كأس وعلها تشكي فآتي نحوها فأعود [57]

ويعلل ابن عصفور رأي الأخفش بقوله: [58] "إن الذي دعا إلى أن يقال إن الضمير وان كانت صيغته صيغة المنصوب في موضع رفع أن يبقى على ما كان عليه مع الظاهر من كون الفعل مع أن في موضع نصب، والظاهر منصوب، فالجواب أن الشيء قد يعمل في الظاهر خلاف عمله في المضمر...".

ونخلص مما فصلنا القول فيه بان ثنائية الاستعمال اللغوي بين الفعلية من جهة والحرفية أو الاسمية من جهة أخرى، إنما وقع في صيغ جامدة خاصة، مما أباح الاحتمالية في التعبير، وهو ممكن وواقع في مجال اللغة التي وصفها ابن جني بالتداخل والتلاحم والاتصال بين أجزائها، ومن جملة ما تداخل استعماله في العربية

---

(54) المقتضب: 70/30 وما بعدها.

(55) شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور: 180/2.

(56) البيت منسوب لصخر بن جعد، =: الجني الداني/435، همع الهوامع، السيوطي: 132/1.

(57) مغني اللبيب: 28/1.

(58) شرح جمل الزجاجي: 180/2.

"عسى" التي اشتهرت عند النحاة بفعليتها، فلا ضير من أن تكون حرفاً في حدود ضيقة من اللغة. وما الخلاف الذي بسطنا القول فيه إلا دليل إثبات على أن اللغة العربية قد يقع فيها الاحتمال في التعبير، ويؤيد ذلك قول ابن يعيش بان لعسى في الإضمار حال ليست لها مع الظاهر، كما كانت لـ(لولا) في قولهم (لولاي) و (لولاك) حالة ليست لها مع الظاهر(59).

إشكالية المعنى بين الوضع والاستعمال القرآني

اجمع أهل اللغة على ان "عسى" تفيد معنى الترجي في المحبوب، والاشفاق في المكروه، كما هو متأت في "لعل" وقد ذكر ذلك سيبويه بقوله: (60) " معناه الطمع والإشفاق – أي طمع فيما يستقبل، وإشفاق أن لا يكون". وقد اجتمع المعنيان في قوله عز وجل: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ...) البقرة/216.

غير انه قد وقع إشكال في معنى الرجاء الموضوع "العسى"، وبين ورودها في الاستعمال القرآني، مسندة في جل مواضعها إلى الله عز وجل – والله تعالى أن يكون منه رجاء -، لذا قال ابن عباس والشافعي وتابعهم كثير بان كل ما جاء من (عسى) في القرآن واجبة متحققة من الله(61). أشار الراغب بان تفسير الرجاء ليس مقصوداً به الله تعالى وتبارك، بل ذكر في القرآن ليكون الإنسان راجياً، لا لان يكون الله عز وجل يرجو شيئاً(62). ويضيف الزركشي في برهانه بان "الوجه في

(59) شرح المفصل: 123/7، و=: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين/570.

(60) الكتاب: 233/4.

(61) الإتقان في علوم القرآن: 204/2.

(62) المفردات/338، و=: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين/573.

استعمال هذه الألفاظ أن الأمور الممكنة لما كان الخلق يشكون فيها، ولا يقطعون على الكائن منها، وكان الله يعلم الكائن منها على الصحة صارت لها نسبتان نسبة إلى الله تعالى تسمى نسبة قطع ويقين، ونسبة إلى المخلوقين وتسمى نسبة شك وظن.... (63)" والقائلون بان "عسى" من الله واجبة استثنوا موضعين وردا في القرآن، الأول قوله عز وجل: (عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) الإسراء/8.

والآية خاصة في بني النضير حين قاتلهم وسباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوقع عليهم العقوبة. والثاني قوله عز وجل: (عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ...) التحريم/5 الآية خاصة في زوجات النبي صلى الله عليه وسلم والواقع انه لم يطلقهن ويبدل بهن(64). وذهب بعضهم إلى ان عسى على بابها، والموضعان متأولان على الشرط، فالأول تقديره: ان عدتم رحمكم الله وهم أصروا وعاندوا. والثاني تقديره: ان طلقكن يبدله أزواجاً... وما فعل، فهذا الشرط يقع فيه الجزاء ولم يفعله(65).

وصرح الزمخشري بان استعمال (عسى ولعل وسوف) يدل على القطع والبت في الأمر إذ يقول: (66) "عسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده ومالا مجال للشك بعده، وانما يعنون بذلك إظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لإذلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم ان عدوهم لا يفوتهم...". أما الكسائي فقد ذكر بان كل ما في القرآن من "عسى" على وجه الخبر

(63) البرهان في علوم القرآن: 158/4 – 159.

(64) البرهان في علوم القرآن: 160/4، الإتقان في علوم القرآن: 204/2.

(65) البرهان في علوم القرآن: 160/4.

(66) الكشاف/789.

موحد، نحو: (عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ...). الحجرات/11، وغيرها على تقدير "عسى الأمر أن يكون كذا، وما جاء على جهة الاستفهام فهو يجمع ومنه قوله عز وجل: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ...) محمد صلى الله عليه وسلم/22،[67] وقد اثبت قيس الأوسي صحة رأي الكسائي بما ورد في القرآن من مواضع "عسى" [68] قال أبو عبيدة معناه: [69] هل تعدون ان تفعلوا ذلك. وقد اقر ابن فارس لـ"عسى" معنى آخر هو الدنو والقرب، معضداً رأيه بقوله عز وجل: (قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم ...) النمل/72.[70] ونظرة خاصة في ورود "عسى" في القرآن الكريم نجد أنها جاءت في ثمانية وعشرين موضعاً بين النقصان والتمام، إذ وردت تامة في ستة عشر ذكراً، وعبر عن اسمها بلفظ (رب) مضافاً إلى ضمائر التكلم والخطاب والغيبة في سبعة مواضع [71]، في حين لوحظ التعبير عن اسمها بلفظ الجلالة (الله) في ستة مواضع [72]، وجاء بصيغة اسم الإشارة (أولئك) مرة واحدة [73]. أما وروده ضميرا متصلاً فقد ذكر في موضعين [74]. وقد جاءت ناقصة في اثني عشر موضعاً[75].

---

(67) معاني القرآن، الكسائي، جمع آرائه الدكتور عيسى شحاتة، دار قباء للطباعة والنشر – القاهرة/ 89.

(68) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين/586.

(69) مجاز القرآن، أبو عبيدة: 77/1.

(70) الصاحبي في فقه اللغة ابن فارس/113. تعليق وتوضيح احمد حسن بسج: دار الكتب العلمية – بيروت.

(71) تنظر المواضع: الأعراف/129، الإسراء/8، الكهف/40، القصص/22، التحريم/5 ،8، القلم32.

(72) تنظر المواضع: النساء/84، 99، المائدة/52، التوبة/102، يوسف/83، الممتحنة/7.

(73) ينظر الموضع: سورة التوبة/18.

(74) ينظر الموضعان البقرة/246، محمد/22.

(75) تنظر المواضع: البقرة/ 216، 216، النساء/ 19، الأعراف/ 185، يوسف/ 211، الإسراء/ 51، 79، الكهف/24، مريم/48، النمل/72، القصص/9، 67.

Abstract

'Asa in Arabic: A study on the syntactic disagreement

Dr. Firaas A. Abdulqaadir (*)

This study investigates the function of the article عسى ('Asa) in Arabic by reviewing the grammarians' viewpoints. Most grammarians regard 'Asa as defective perfect verb, therefore they attach some suffixes of the perfect verb to 'Asa like the quiescent ta of feminization and the subjective inseparable pronoun. Some other grammarians assimilate 'Asa to the article لعل (la'ala), which refers to taraji (anticipation). 'Asa, according to the second school, is a subjunctive particle for the pronouns after it. The present study shows both usages substantiated by standard Arabic classical examples. It also shows the parsing of 'Asa relying on its counterpart as it is mentioned in a given context whether transitive or intransitive. Similarly, it reviews this counterpart whether it is a verb or a particle. Moreover, the study explains the thorny function of 'Asa between its linguistic function that indicates anticipation and wishing and its Quranic usage as it is attributed to Allah. It is proved that taraji is addresses' specific device of speech.

(*) Dept. of Arabic – College of Arts / University of Mosul.